

# وعينا القومي ينضج

بقلم : الاستاذ عبد الحسين الراضى

والمرض عليهم فثيمين ظلام دامس ردها من الزمن رقدوا فيه رقدة اهل الكهف اضمحل فيها سلطانهم وخفت صوتهم الذي كان يدوي عالياً فتردده الامم المتحضرة اجلالاً لتقدم واعترافاً بفضليهم ، - اقول - خفت ذلك الصوت بعد ان سقطت دولة بني العباس تلك الدولة التي نال العرب والاسلام في عهدها الاول عصرًا ذهبياً وفي انقراض حكمها انحطاطاً ، وسيان بين هذا وذاك .

انتقل الحكم الى دول الطوائف فكابد العرب ما كابدوه من الظلم والجور فوقعوا في مأزق حرج اودى بهم الى الهاوية ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ الاسلامي الا وهو - الجروب الصليبية - فقد سببت نتائج خذل العرب يبرزحون تحت اعبائها ردها من الزمن منها :

- ١ - اظهرت هذه الحرب نوايا الغرب تجاه المسلمين .
- ٢ - سبب نشوء التعصب الديني بين المسلمين والنصارى .
- ٣ - جعلت الغربيين يقتبسون عن المسلمين فنون الحرب .
- ٤ - « » « » « » القوانين والالظمة الادارية والعسكرية .
- ٥ - سببت انتشار العلوم والعرفان في بلاد الغرب .
- ٦ - جعلت الغربيين يؤسسون الجمعيات التبشيرية لتحقيق غاياتهم الاستعمارية بعد ان فشلوا في الحرب .
- ٧ - سببت نشوء الرغبة في نفوس الغربيين لاستعمار الشرق .

٨ - كانت سبباً لتأسيس مراكز خطيرة للنفوذ الاوربي في بلاد الشرق الادنى كل هذه العوامل ادت الى تدهور مدينة العرب وانتقالها الى ايد اجنبية فافتقرت البلاد بعدغناها وسيطر الجهل على جميع المرافق الحيوية فاقعد العرب حقياً وازمانا ضلوا يعانون من جراء ذلك الوانا من الانحطاط الاقتصادي والفكري، وقد بلغت الفوضى في الحكم والانضباط اقصى حدود السخرية في العهد العثماني .

\*\*\*

ضل العرب على هذه الحالة ، فظن المستعمر ان الفكر العربي قد نسج عليه استعماره غشاءً سميكاً ، الا ان العرب كانوا ولا يزالون امة حية لم يفقدها الاستعمار حيويتها ولم يفقدها

الامة العربية تاريخ مجيد حافظ بالتضحيات وبجلائل الاعمال . فقد مرت في ادوار ومراحل اتسعت فيها فتوحاتها فشملت حوض البحر الابيض المتوسط : وجزيرة العرب وبلاد فارس الى الصين شرقاً ، فاسسوا امبراطورية خلدتها التاريخ ، سيطروا فيها على اكثر بقاع العالم قرونا عديدة كانوا رمزاً للجهد والاباء والتضحية والعدل والنظام تجمعهم كلمة واحدة ويدعوهم الى النضال هدف واحد الا وهو : المساواة : ونشر الطائفة والعدل في جميع انحاء المعمورة ، فيذلوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، واشادوا حضارة مرموقة امتازت عن سواها في حقول كثيرة ، واخذت تنمو وتزدهر سائرة الى الامام بخطى واسعة مخرقة العقبات بفضل دراية رجال الحكم وفضالهم .

الا ان البعض منهم شاءت ارادته ان يدخل عناصر غريبة في عاداتها (١) غريبة في اهدافها ... غريبة حتى في اساليب حكمها وسياستها .. فتدخلوا تدخلاً مباشراً في الحكم احدثوا عندئذ شقة في الدولة الاسلامية وتضاربا في الآراء وعصيانا في الممالك فلم يلتفت اولوا الامر الى اهمية هذا الامر الجلل بل اتخذوه وسيلة لتأديب الناس .

فلما قضى هذا خلفه آخر ، نهج نهجه ؛ وخطى خطوه فسارت البلاد من سيء الى اسوء فدالت دولتهم بعد ان كانت رفيعة الذرى متينة البنيان ذات حول وطول عظيمين ، مسجلة صفحات ناصعة في جبين تاريخ المدنيات العالمية الخالدة . .

لقد اخذت حالة العرب تدهور وسيطر الجهل والفقير

(١) نشير بذلك الى دخول الفرس والأتراك في العهد العباسي وتدخلهم في سياسة الدولة .

والاستقلال فاستعادت مركزها السياسي بفضل جهود العرب وزعمائهم وملوكهم .

اما فلسطين العريضة التي بقيت ولا تزال تعاني الامرين من الانتداب والفوضى مستمرة في جهادها ونضالها لنيل كامل عزها وكرامتها ، يؤازرها العرب بحكومة وشعباً يدعوم الى ذلك الحنان الاخوي ويدفعهم الشعور بان البلاد العربية وحدة لا تتجزأ فلا بد وان يأتي اليوم الذي تستعيد فيها مجدها وسؤدها العتيق (١)

اما العراق الذي نشطت فيه الحركة التحريرية لم يرضخ لهذا التقسيم الجائر فاعلن ثورته سنة ١٩٢٠ واعلنت الملكية بتبويج المغفور له فيصل الاول ملكا عليه فاخذ يسي بمخطوات واسعة الى الامام نحو الرقي والكمال لاسترجاع كامل حرياته وحضارته تحت ظل العائلة الهاشمية المالكة ولا يزال العراق يسير اليوم ويسير غداً الى الامام بالغاً ما يصبو اليه في القريب العاجل انشاء الله تحت ظل سيدنا الملك فيصل الثاني المهظم قرة عين العرب ووصيه الامين ..

(١) كنا نود لو ان الكاتب افاض افضة حقة في مبلغ الوعي القومي الذي بلغ اشده في اواخر العهد العثماني ذلك العهد الذي لا يكاد يذكر الا ويذكر معه وعي العرب واسبابه .

البيان . العدد ٣١ . التاريخ ١٠ / ١١ / ٤٧  
اعلان

ان العريضة المتسلسلة ١٨٣٧ الواقعة بمحلة المارة المحدودة الشمال الشرقي دار عطية الراشد تس ٥٦ - ٢٩ - ٧٧ ويتمها سلطان بن عزيز وحاج عبد بن شنون ٥٨ / ٢٥ تس ٧٨ الشمار الغربي دار السيد فاضل بن السيد ك. نو تس ١٨٣٨ الجنوب الغربي الطريق الخاص الجنوب الشرقي دار ٦٠ / ٢٩ تس ٨١ ويتمها دار جبر بن خزعل ١٨٣٦ هي ملك صرف الى الخزينة المالية للحكومة العراقية فعلى كل من يدعي حق التملك اوله علاقة بها عليه مراجعة دائرة الطابو مع مستمكاته الرسمية خلال ثلاثون يوماً من تاريخ نشر الاعلان والاسي جري تسجياها مجدداً باسم الخزينة المالية للحكومة العراقية وفقاً للاصول ٣ - ٣ مأمور طا يو النجف

التحرر وظهور رجال الاصلاح فيها ؛ فاما ان بدت النهضة الاوربية واكتسح الاستعمار الاوربي حوض البحر الابيض المتوسط ؛ خطأ الاستعمار خطوات واسعة نحو بلاد العرب ؛ وبدت حين ذلك علائم النهضة الفكرية في البلاد العريضة واولها مصر التي هاجمها « نابليون » بحملة استفزت شعور ابناء النيل لتشكيل الجمعيات التهذيبية العديدة : [ كجمعية المعارف ، والجمعية الخيرية ؛ والمعهد العامي المصري ؛ والجمعية المصرية ] وتقف المكاتب الى جانب الجمعيات في بث روح النهضة ..

اما في سورية : فقد كانت عوامل النهضة باقية والشباب ميالون الى تأسيس الجمعيات كالجمعية السورية التي جعلت هدفها ترقية العلوم ونشر الفنون ؛ والجمع العامي الشرقي ، الذي انشأ للبحث عن العلم والمصناعة ، ومن عوامل النهضة فيها الارساليات الدينية الاجنبية من اميركا ؛ وانكلتره ، وفرنسه وايطاليا ؛ والمانيا ؛ فقد كان المبشرون يختلطون باعالي سورية اختلاطاً كلياً ويثون فيهم مبادئ الحرية والمطالبة بحقوق الافراد والتعني بها .

اما في العراق : فقد دب الاصلاح فيه ديباً مرموقاً في زمن مدحت باشا الذي حاول ان يدخل اصلاحات كان يروم انجازها الا ان المدة القصيرة لم تسمح له بذلك كل هذه الجمعيات : [ الاخاء العربي ؛ المتدعي الادبي ، الجمعية القحطانية جمعية العهد ؛ جمعية الثورة ] كانت حافزاً لميلاً لنيل استقلال العرب ونضج وعيهم القومي واعلان ثورتهم ؛ فقد تضافرت جهود العرب واتحدت فالتفوا حول الحسين وآله واعلنوا تحركهم المباركة ونهضتهم التحريرية من الظلم والطغيان ، فبدأ في الافق العربي نور اليقظة يوقد من دماء شهداء العرب الاحرار ، فشملت ثورتهم البلاد العربية جمعاء ؛ وبين عشية وضحاها نكص الخلفاء عن وعودهم التي قطعوها على انفسهم مع الحسين فقسمت سوريا الكبرى الى :

سوريا . وفلسطين . ولبنان . وشرق الاردن . ونال العراق ما نالت شقيقاته من فرض الانتداب ؛ فظلت سوريا تئن اعواماً طويلاً افضحت بابنائها ورجالها في سبيل الحرية الى ان كتب الله لها ولشقيقاتها لبنان وشرق الاردن النصر